الانتقام

رواية لغزا العرد

(من التاريخ)

شهد (استياج) ملك (ميديس) احدى ممالك الفرس قديما حلماً غريباً في نومه ازعجه ودعا كهنته ليستشيرهم فمثلوا بين يديه فروى لهم انه رأى شجرة كبيرة جداً عظيمة تظلل قارة اسيا وابنته (متدان) ملكة (ليدي) احدى الممالك المجاورة قابضة عليها بيديها وتضمها فكأنها نابتة من صدرها ففسر الكهنة الرؤيا بأن المولود الجديد الذي وضعته ابنته أخيراً سيصير يوماً ما ملكا عظيماً على جميع ممالك الفرس وسيخلفه على عرش (ميديس) ونصحوا له ان يرسل من يحضره بأي وسيلة . ثم يسعى في اهلاكه ومحو أثره وينتحل اي سبب لابنته عن فقده وبذا يأمن شره في المستقبل فوافق الملك ودعا وزيره (هرباج) واخبره بكل ما تم وأمره ان يسافر لمواجهة ابنته ملكة (ليدي) واحضار الطفل بحجة ان جده سيتولى تربيته ومتى احضره يقتله ويطرحه ثلاثة ايام على قمة جبل هناك حتى يذهب هو بنفسه ليتحقق موته فاستاء الوزير من هذه المأمورية المفجعة التي ضد ارادته ولكنه لم يشأ الرفض لعلمه بشراسة مليكه وانه اذا عزم على شيء لا يتحول عنه فتظاهر بالقبول مرغماً :

وفي اليوم الثاني سافر لملكة (ليدي) واحضر الطفل وعاد الى قصره وهو في أشد حيرة ثم استدعى احد رعاة الاغنام واطلعه على رغبة الملك بقتل هذا الطفل وطرحه على قمة الجبل ثلاثة أيام كما تقدم وهدده بالقتل ان لم يقبل ثم أعطاه كيسا من الذهب فاضطر الراعي لتلبية الامر لئلا يناله العقاب فحمل الطفل بين يديه وتوجه وهو في أشد حالات الاضطراب وما كادت تطأ قدماه كوخه حتى وجد امرأته وضعت طفلا وقد فاضت روحه بعد ولادتها بثلاث ساعات وزوجته تبكي

من حزنها فلما رأته داخلا حاملا طفلا يرفرف بيديه الصغيرتين الجميلتين كأنها اجنحة ملاك بادرته بالسؤال عن الطفل فأخبرها بأمره ثم اخبرته هي أيضاً بدورها عن فقد طفلها ورضيت ان يأخذه ويضعه على قمة الجبل ويترك هذا بينهما لينسيا بوجوده حزنهما فتأثر الراعي ووافق زوجته اما الوزير فمثل بين يدي الملك وأخبره انه نفذ امره حسب رغبته فتوجه الملك بنفسه لرؤية جثة الطفل ثم أمر بدفنها

عشرة اعوام مضت على هذه الحوادث في خلالها كان الملك مستريح البال مطمئناً وكلما استفهمت الابنة من ابيها الملك عن ولدها يرسل لها احد الاشراف من بطانته عنه ليطمئنها وهكذا الى ان كبر الولد وصار في العاشرة من عمره وهو في كوخ الراعي ولا يعرف له ابا سواه وقد بدت عليه ملامح الذكاء والشجاعة

ففي ذات يوم كان يلعب مع غلمان من جيرانه فجمع منهم عدداً ليس بالقليل فكانت لعبتهم ان اسسوا مملكة صغيرة . منهم الملك والوزير والحاكم والجندي ثم عقدوا مجلساً وانتخبوا ابن الراعي ملكا عليهم نظراً لشجاعته وتفوقه عليهم بقوة جسمه

وكان أحد أفراد هذه المملكة الصغيرة ابن احد الأشراف في قصر جده الملك الحقيقي الذي لا يعرفه فتشاجر هذا الغلام يوماً مع غلام آخر فقبض عليهما الجنود وساقوهما امام الملك الصغير فجمع وزراءه وحكامه وأهل بطانته وحاكموا الجاني الذي تعدى في هذه المشاجرة وكان الحكم على ابن الشريف المذكور بجلده عشرين جلدة على ظهره فأخذه الجند ونفذوا الأمر وبعد ان جلدوه أغمي عليه فحملوه الى قصر ابيه الشريف فلما عاين الأب ولده طريحا لا يعي على شيء توجه مسرعاً للملك وشكا له ما جرى من امر الغلمان فأمر الملك بأحضارهم جميعاً وسأل ملكهم الصغير كيف انك ابن رجل راع حقير وتعامل ابن شريف من اخصائي هذه المعاملة المنكرة فأجابه الغلام على الفور بكل شهامة وجرأة

« انهم قد نادوا بي ملكا عليهم والملك يجب ان يطاع »

فهذا الجواب المقنع جعل الملك يفحص الغلام فحصاً دقيقاً بنظره مستغرباً لأن الرد ليس لمن كان مثل عمره فتفرس في وجهه ملياً فوجد ان المشابهة بينه وبين ابنته شديدة فأمر بحجز الغلام في احدى غرف قصره لينظر في امره وعاقب بقية الغلمان ثم دعا وزيره (هرباج) ولما حضر باغته بالسؤال حتى لا يترك له مجالا للتفكير ماذا صنعت بالطفل ابن ابنتي ملكة (ليدي) الذي عهدت اليك اعدامه؟ قل تكلم بالصدق ولا تحاول المراوغة وانا اصفح عنك فتلجلج الوزير ولم يدر بماذا يجيب وخشي ان يكون الملك قد عرف ما تم بينه وبين الراعي ولم يتول قتل الطفل بنفسه فان لم يجب بالحقيقة عاقبه أشد العقاب فرأى في مثل هذه الحالة ان الصدق اولى من الكذب ولا سيما وقد وعده الملك بالصفح فأخبره بالحقيقة فابتسم له الملك حتى لا يظهر له غيظه واضمر له الشر وصرفه من حضرته

وفي اليوم الثاني عقد مجمعاً من كبيته واطلعهم على جلية الخبر فأشاروا ان يرد الغلام لأمه فلا خوف على ملكه بعد فقد تأول منامه وصار الغلام ملكا بانتخاب الغلمان له . فاقتنع الملك واستدعى وزيره وأمره ان يسافر في الغد ويرد الغلام لأمه ثم خاطبه باسماً شاكراً للصدف التي آلت الى ذلك بعد ان اخبره بما اشار عليه الكهنة وهو لذلك مستريح الضمير ولهذه المناسبة سيقيم في قصره عيداً كبيراً ومهرجاناً عظيما بعد عودته من لدن ابنته ملكة (ليدي) وامره ان يستدعي ابنه البالغ من العمر اثني عشرة سنة لمشاركتهم في هذا المهرجان وفي الغد سافر الوزير لرد الغلام بعد ان ارسل ابنه لقصر الملك حسب امره ولما عاد بلغه سلام ابنته وفي الليل كان القصر مزدحماً بالمدعوين والكل في سرور فبعد ان قدمت كؤوس الشراب الفاخر واطباق اللحوم اللذيذة وكاد ينتهي المهرجان . اقترب الملك من الوزير وقال له ما قولك بهذا المهرجان وبهذه اللحوم اللذيذة التي قدمت في هذه الليلة فأثنى الوزير على نظام الحفلة قائلا انني لم أذق في حياتي لحماً الذ مما ذقته الليلة فقال له الملك وابتسامة الحقد ظاهرة عليه انك اكلت لحم ابنك فقد أمرت بذبحه

انتقاماً منك لعدم تنفيذ أوامري بالطفل الذي رددته لأمه اليوم فكظم الوزير غيظه ولم يبد اشارة وكظم الحقد في قلبه للملك منتظراً فرصة الانتقام

اثنتا عشرة سنة أخرى مضت بعد هذه الحوادث الأخيرة وقد عرف ملك الغلمان الصغير والديه الحقيقيين ولم ينس الراعي وزوجته اللذين ربياه فاحضرهما وعاشا في القصر بقربه وكان وقتئذ قد بلغ الثانية والعشرين من العمر واصبح شاباً جميلا عليه مظاهر الشجاعة والاقدام فتولى قيادة جيوش والدته وعرف باسم (الملك سيروس) واشتهر وصار رجلا عظيما وقد ذاع خبر فتوحاته العديدة في جميع البلاد المجاورة له . كل هذا ووزير جده (هرباج) لم يتوان لحظة واحدة عن الأخذ بثأره فأرسل للملك (سيروس) خطاباً اطلعه فيه عما حدث له مع جده من حين طفوليته الى حين رجوعه لأمه وهو ابن عشر سنوات وانه قد حرض جميع الوزراء والاشراف والجيش على جده ملك (ميديس) الظالم فيكنه شن الغارة عليه عاجلا للانتقام منه وهو يعمل له هنا في داخل المملكة لبلوغ مرامه وسيحرض ايضاً الشعب ضده وهو يضمن له الفوز وذلك لشدة كره الجميع له لشدة ظلمه في الاحكام وان الجميع في (ميديس) يتغنون باسمه لما أوتيه من شهرة بفتوحاته العديدة وسئم الكل حكم هذا الملك الجائر — فما وصل اليه خطاب الوزير حتى اخبر والدته به فتذكرت الأم المسكينة واطلعت ولدها ان جده ارسل وزيره (هرباج) لأخذه وهو طفل ليتولى تربيته فانكشف له الخبر مما علمه من الخطاب ومن والدته وقد شكرت الآلهة على نجاة ولدها وأما هو فأرسل لجده خطاباً أشهر به عليه حرباً عواناً فاستشار جده مجلسه فلم يروا بداً من الحرب فعهد الملك للوزير (هرباج) بالقيادة العامة وقد نسي ما حصل لتقادم العهد الا ان الوزير لم ينس ثأره وارتاح لهذه القيادة وبناء عليه هجم الملك (سيروس) على مملكة (ميديس) فسلم له الجميع ودخل القصر لمواجهة هذا الجد القاسي وحوله القواد والامراء وامر بالقاء القبض عليه ووضعه في الاغلال بعد ان حاكمه امام الامراء والكهنة

والاشراف والشعب وأمر (سيروس الملك) الوزير (هربياج) ان يعلن لهذا الجمع المحتشد ما حصل فلبى الوزير امره وقص كل ما جرى حتى انتهى الى اخبار الملك له بأكل لحم ابنه مطبوخاً في المهرجان فصرخ باكياً في وجه الملك المخلوع قائلاً الآن تم انتقامي وأخذت بثأر ولدي منك يا (استياج) فأمر سيروس بقتل جده وضم مملكته الى الممالك العديدة التي كان ملكاً عليها ومن عهدها اخضع جميع ممالك الفرس وأصبح ملكاً على الجميع ولقب بسيروس الاكبر ملك الفرس فحكم بعدل فأحبه الجميع وكان يردد دائما القول المأثور « العدل أساس الملك » ؟

عن الافرنسية — نجيب شلفون

آثار ادبية

من ألطف ما يروى عن الشاعرين المرحوم امام العبد الذي تولاه الله برحمته منذ زمان ، ونقولا افندي بدران الذي لا يزال ينتظر رحمة ربه الى الآن ، انهما اجتمعا في يوم من ايام البؤس وكانا لا يملكان قوت يومهما فاخذا يقلبان وجوه الفكر في الحياة فكانت خلاصة افكارهما ان الحياة ضرب من العبث والهذيان وانها تكرار لا يدرك له معنى وان الشعراء هم الضحية التي اختارتها الطبيعة لمعبد البشرية المعذبة . وقد حاولا ما حاوله قبلهما عمر الخيام من السمو الى عرش الطبيعة للوقوف على سر الحياة من طريق التجرد ومن طريق المدام . ثم خطر لهما انهما سوف يموتان وقد لا يرثيهما أحد فاتفقا على ان يرثي كل منهما صاحبه بقصيدة تبقى تذكاراً له بعد موته فنظم كل قصيدته

ولقد عثرنا على هاتين القصيدتين الفريدتين فنشرناهما تذكرة وتفكهة للقراء الكرام